

يتحول عنهما فيقيم الذكر. وقد أدى كل منهما ما أمره الشيخ بأدائه، فصام كل منهما ودعا وتصدق واستغفر الله، ولعل كلا منهما بكى واستعبر. وهما يروحان على الشيخ في كل يوم، فينظر الشيخ في وجوههما ثم يتحول عنهما لا يقول لأحد منهما شيئاً. وفي ذات يوم ينظر الشيخ إليهما وقد عرف في وجوههما الحزن والندم وقال: اجتهدا لعل الله أن يتوب عليكما. ومهما يجتهد الأب وابنه، فقد يظهر أن الله لم يتب عليهما؛ لأنهما يصومان ويصليان ويتصدقان ويدعوان وفي قلب كل منهما خاطر ضئيل، ضئيل جداً لا يكاد يحس: لو رزقنا الله غلاماً مكان هذه الصبية.

ثم يهبط خالد إلى القاهرة ليرى ابنته، ويرد أهله إلى المدينة. فإذا بلغ القاهرة وأدخل إلى أهله وقُدِّمت إليه الصبية، نظر في وجهها ثم نظر في وجه امرأته، ثم جهر بقراءة آيات من القرآن يرد نفسه إلى الأمن وقلبه إلى الاطمئنان؛ ويمسك نفسه أن تخرج عن طهورها؛ فقد رأى ويا نُكر ما رأى! رأى ابنته الثانية صورة مطابقة لأُمها أشد المطابقة، وقد تكلف الاستبشار والرضا. وأحسَّت منه زوجه ما أحسَّت، فلم تُظهر شيئاً. ثم خلا إليه حموه، فقال: أصبر نفسك على ما تكره يا بني، فإن الله يمتحن عباده المؤمنين بالصبر. وأقسم لقد نهيتُ أباك عن تزويجك من ابنتي فإنها لم تخلق للزواج. وأقسم يا بني لقد رحمتك وأشفقت عليك وتحدثت إلى أبيك في ذلك، ولكن لله أمراً هو منفذه وحكمة هو بالغها.

قال خالد وقد ثاب إلى عقله كله وقلبه كله: فأني لا أفهم عنك ما تقول منذ اليوم. علامَ أصبر وفيم أمتحن وما رأيت منك ولا من زوجي إلا خيراً، وما أنكرتُ شيئاً وما ينبغي أن أنكر شيئاً؟! أفترى نفيسة قد شكت إليك بعض قسوتي عليها في الدعابة والمزاح؟ فأني معتذر إليك وتائب إلى الله من هذا الإثم العظيم.

قال عبد الرحمن وهو يقبلُ ختنه: لا والله يا بني ما شكت إليَّ نفيسة شيئاً، وما علمتك إلا براً كريماً وابن أخٍ برٍّ كريم. ومنذ ذلك اليوم أنزل الله السكينة على قلب خالد، فتاب إلى أهله وابنتيه كأحسن ما يثوب الزوج الصالح والأب العطوف.